(٩)

أمـريـكـا أصابها الـرعـب وارتعشت عند سقوط مرسى

obeikandl.com

obeikandl.com

لا تتوقف أسئلة الحفيد وبكل رحابة صدر يجيب الجد من فيض حكمته وخبرته كمحارب قديم شارك فى معارك مصر الحديثة ونال شرف ارتداء الزى العسكرى على مدى أربعين عاما.. وها هو يسلمها للحفيد الذى يتأهب لدخول الكلية الحربية فى سلسلة متواصلة.. حديث الجد عن مواصفات الجنرال المنقذ أدهشت الحفيد وطلب المزيد وكان هدفه أن يربط بين السياسى والقادة العظام عبر التاريخ وماذا يمتلك بشخصه من هؤلاء... وقد توقف حديث الجد عند مدير المركز الإسرائيلى واستخفافه بالجيوش العربية كلها وعلى رأسها الجيش المصرى وقال إنها ستظل فى حالة ضعف تستمر لفترة تتراوح بين ٢٠ و٤٠ عاما قادمة كما أن التوتر الداخلى والوضع الاقتصادى المتدهور يسهم فى زيادة نسبة العجز عن تدبير هجمة ضد إسرائيل كما حدث فى ١٩٧٣ ويجب علينا أن ندرك بأن الدنيا قد تغيرت وأن عقارب الساعة لن تعود إلى الوراء..

يجب علينا أولا إدراك أن التهديدات العسكرية التقليدية من قبل جيوش منظمة، قد اختفت تماما، وهذا له معنى خاص بالنسبة لإسرائيل على المدى الطويل، ومن الناحية الاخرى، ظهرت تهديدات جديدة لأمن إسرائيل،وقد نبعت هذه التهديدات الجديدة، من خلال اختفاء الحكومات الديكتاتورية التى كانت تتحكم فى كل صغيرة وكبيرة مما يجرى داخل الشعوب العربية، وعلى سبيل المثال، فإن السلطات فى مصر كانت متحكمة فى كل شىء إلى درجة لم تكن تسمح بحدوث أى شىء داخل الدولة دون علمنا المفصل به. لقد اختفى كل هذا. والآن فإن "مرسى" لا يستطيع حتى التحكم فى شوارع القاهرة، ناهيك عن رمال سيناء.

أما بالنسبة للوضع فى سوريا فإنه أيا كان الشخص الذى سيتولى حكم هذا البلد فى المستقبل، فإنه لن يستطيع التمكن من التحكم فى الشعب السورى بالطريقة نفسها التى تحكم بها الأسد فيه، وهذا الانفلات هو الذى يمثل أخطارا من نوع جديد بالنسبة لامن إسرائيل، أخطارا مثل انتشار السلاح فى كل يد – خاصة الصواريخ – وأنظمة التسليح القادمة من دول مثل إيران وروسيا فى يد الفئات المعادية لإسرائيل، لد خلق السادات امكانية لحدوث حرب عظمى فكلنا يعلم حجم التهديد الذى تمثله الأسلحة الكثيرة المتراكمة لدى جيوش منظمة، خاصة إذا كان هناك إمكانية لتحالف هذه الجيوش ضد إسرائيل، أما الآن ، فإن التهديد من قبل تحالف جيوش منظمة مثل جيش مصر أو العراق

أو سوريا واحتمال شنها لهجمة مشتركة مثلما فعلوا "يوم كيبور" (حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣م) فإن هذا – حمدا لله – اختفى للأبد.

وهذه التصريحات تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن إسرائيل هى المستفيد الأكبر من الربيع العربى وتوابعه واستثمارهم لحالة السيولة التى صاحبت الثورات وتوجيهها إلى حيث يريدون وهو أيضا ما يؤكد على أن مخطط ما يسمى بالشرق الأوسط الكبير وإن كان صنيعة أمريكية إلا أنه صهينة قلبا وقالبا، وشكلا موضوعا، هنا أيقن الحفيد الآن ماذا فعل المنقذ؟.. وما هو دوره ونحن معه فى المرحلة القادمة؟.. هذا هو سؤال الساعة وكل ساعة..

ولأن المسافة ليست بعيدة بين إسرائيل وأمريكا.. نستعرض هذه الآراء.. فقد كتب "أليكس فيشمان" فى جريدة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية.. بتاريخ ٨ أغسطس ٢٠١٣م كتب يقول تحت عنوان " بين السيسى وأوباما" قال: إن سلوك الإدارة الأمريكية تجاه القاهرة يثير غضب المصريين وقد تدفع إسرائيل ثمن ذلك. ولهذا تحاول إسرائيل ان تُسكن الأمريكيين وأن تقنعهم بعدم إلغاء المساعدة الاقتصادية للفريق السيسى فإسرائيل فى حالة طوارئ دبلوماسية. فهى تُدير فى اليومين الأخيرين نضالا دبلوماسيا يائسا تقريبا فى مواجهة واشنطن دون وزير خارجية ومع وزارة خارجية ضعيفة ذليلة.

إن مسؤولين إسرائيليين كبارا من رئيس الوزراء حتى من دونه يبذلون الآن جهودا متعبة مع البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية ووزارة الدفاع الأمريكية ومع مجلس النواب فى الأساس فى محاولة لتسكين الهجوم الأمريكى على حكم الجنرالات فى مصر. والصحيح إلى الآن أنها تبدو معركة خاسرة.

إن الإدارة الأمريكية مازالت تخطئ أخطاء تاريخية تجاه القاهرة: فمجلس النواب يهدد بتعليق المساعدة الاقتصادية لمصر، والإدارة تعلق التعاون الأمنى – فالتأليف بينهما سيفضى بالمصريين إلى الانفجار عليها.

إن العداء للولايات المتحدة مشترك بين المعسكرين الخصمين فى مصر – بين حركة "تمرد" التى تؤيد الجيش وبين الإخوان المسلمين. ويريد الطرفان أن يُضرا بكل ما يرمز لأمريكا ويشمل هذا إسرائيل أيضا. إن منظومة العلاقات بين مصر والولايات المتحدة التى كانت درع اتفاق السلام مع إسرائيل أصبحت عبئا ثقيلا. وتهدد حركة "تمرد" بأن تأتى بعشرين مليون توقيع اعتراضا على المساعدة الأمريكية لمصر وتأييدا لإلغاء معاهدة السلام. ومن كان يستخف بقدرتهم فليتذكر الـ ١٧ مليون توقيع التى جمعوها ضد مرسى.

وفـى هذه الأثناء وعلى الأرض تبلغ مصر "نقطة درعا" الخاصة بها. ودرعا هى المدينة فى جنوب سـوريا التى بدأت فيها الحرب الأهلية السـورية قبل سـنتين. ولو كان النظام السـورى عالج الانتفاضة التى نشـأت آنذاك فى تلك المدينة المهملة علاجا صحيحا فلربما كان الوضـع اليـوم هناك مختلفا. إن مصـر موجودة الآن فى هذه النقطـة وربما تكون قد تجاوزتها ايضا. لا يتحدث أحد الآن عن حرب أهلية فى مصر. وإنجازات الجيش المصرى بإزاء الإخوان المسلمين تكتيكية فلا يوجد حسم والطرفان يتحصنان فى مواقعهما.

إن التنبؤ فى إسـرائيل هـو أن مصر تدخل فى مواجهة داخليـة طويلة بقوة منخفضة (إخـلال بالنظام وإرهاب) تنذر باسـتمرار عدم الاسـتقرار فى الدولة، وعـدم القدرة على ادارة دولة بصورة منظمة، وباسـتمرار وقف الاسـتثمارات من الخارج وباستمرار شلل فرع السـياحة. وسـتكون النتيجة حالة اقتصادية متدنية سـتظل تتدهور وستظل متعلقة بعمق جيوب السعوديين ودول الخليج. إن إطعام ٨٥ مليون فم من التبرعات وقتا طويلا ليس حلا يشفى الاقتصاد المصرى ويُثبت أقدام النظام الحالى.

إن للنظـام العسـكرى فى مصر أسـهم فى تدهـور الوضع لأن الصور التـى تصدر عن القاهرة لمئات الجثث، ولأكثر من اربعين كنيسـة محروقة ولجيش مصمم على الاسـتمرار واسـتعمال القبضة الحديدية بلا هوادة تنقل إلى العالم رسـالة فظيعة. لكن هذا لا يُعد شيئا اذا قيس بالضرر الذى تُحدثه الإدارة الأمريكية التى لم تنته إلى الآن من إفساد كل ما أمكن وإسرائيل هى التى ستدفع ثمن ذلك.

ينبغى ألا يعجب أحد إذا بدأت علامات السـلام مع مصر تتلاشـى واحدة بعد أخرى. ولا يجب أن يكون مفاجئا إذا تم الإعلان أن سـفير إسرائيل فى مصر شخص غير مرغوب فيـه فـى مصر. لم يحدث هذا إلى الآن فجهازا الأمن الإسـرائيلى والمصرى يؤديان عملهما فـى فقاعـة، ومن الصحيح إلى الآن أنه لا دلائل على بـرود العلاقات لأن للجيش المصرى مصالح استراتيجية مشتركة مع إسرائيل حتى دون صلة بالعلاقات بالولايات المتحدة. لكن الشـارع المصرى بدأ يضغط وسيضطر النظام الحالى إلى أن يرمى له بعظم. ومن المؤسف جدا انه سـيكون عظما إسـرائيليا ولا يوجد من يستطيع أن يوقظ الادارة الأمريكية قبل أن تجر الأوروبيين ايضا إلى ألعاب قوتها المبلبلة فى العالم العربى.

ويشرح الجد ويزيد على ذلك قائلا: لم تكن الضربة التى وجهها عبدالفتاح السيسى، بإسقاط الرئيس محمد مرسى وجماعة الإخوان المسلمين قاصرة عليهما وحدهما، فقد طالبت

الضربة أيضا الولايات المتحدة الأمريكية، وأحبط السيسى بضربته التاريخية مخططات الولايات المتحدة ومعها حلفائها، لإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط ووجه ضربة قاتلة لمشروعها الاستعمارى الجديد، التى كانت جماعة الإخوان المسلمين صاحبة دور محورى لا يستهان به ومعها تركيا كذلك، لذلك ما قام به السيسى وجه لطمة وإهانة كبيرة بالولايات المتحدة القوة الأكبر فى العالم، والتى صور لها غرور القوة أن بمقدرها أن تمتلك العالم وفى القلب من منطقة الشرق الاوسط، بداية من مصر فى ظل حكم جماعة الإخوان المسلمين، وهى ضربة تذكرنا بالزعماء الكبار الذين تصدوا لهيمنة وصلف أمريكا، تذكرنا بالزعيم الراحل جمال عبد الناصر الذى وقف حجر عثرة امام المشروع الاستعمارى الأمريكى الجديد فى المنطقة، ولهذا فإنه لم يكن غريبا ان تستشيط الولايات المتحدة عضبا وتفقد توازنها ووعيها من تأثير ضربة السيسى الذى اعتبرته "ناصر" جديد سيحرمها من النوم العميق بفعل حلفاء ينفذون لها ما أرادت.

رد الفعل الأمريكى جاء سريعا وواضحا برفض ما قام به السيسى والقوات المسلحة مستنكرين على الشعب المصرى ان يقول كلمته وأن يكون صاحب القرار فى اختيار ما يحكمه وفى مراقبة وعزله إذا لم يحقق لهذا الشعب ما يصبوا إليه وما تعهد به هذا الحاكم.. اختارت الولايات المتحدة ان تنحاز إلى جماعة الإخوان المسلمين ومحمد مرسى بذريعة انها تدافع عن "الشرعية" والديمقراطية وتحترم نتائج الانتخابات التى جاءت بمحمد مرسى رئيسا وهى تتغافل عن حقيقة مؤكدة بأن الشعب الذى قال نعم من حقه أن يقول لا فى أى وقت يشاء، وأن الشعب الذى رفع شخصا وجماعة إلى السلطة من حقه أن ينزلهما عنها وقتما يشاء.

سارعت الولايات المتحدة إلى قيادة تحالف دولى وإقليمى رافض لثورة الشعب المصرى فى ٣٠ يونيو ولم تدخر وسعا فى القيام باى اجراءات مشروعة او غير مشروعة لإجهاض هذه الثورة وإعادة حليفها إلى العرش من جديد لكنها بالطبع فشلت.

وقد أعلنت أنها ستؤجل جزءا من المعونة العسكرية إلى مصر بسبب الحملات القمعية المستمرة من قبل الحكومة، لكن المصريين ينظرون إلى هذه الخطوة على أنها تدخل فى شئونهم القومية ويشجعون الجيش لموقفه الصارم".. هذا ما قالته مجلة "نيوزويك" الأمريكية فى تقرير بعنوان شعبية الجنرال السيسى ارتفعت بعد إعلان قطع المعونة الأمريكية عن مصر"نشرته يوم ١٣ أكتوبر ٢٠١٣م".

أضافت المجلة أن المصريين يعتبرون القرار الأمريكى أيضا «خيانة وقحة» أو ما هو أسوأ من ذلك «أن الولايات المتحدة تتفضل عليهم». مشيرة إلى أن آخرين ينظرون إلى هذا التطور كخطوة مرحب بها من شأنها أن تمهد الطريق إلى الاستقلال المصرى من القوى العظمى المراوغة.

وتابعت «نيوزويك» : «ربما يكون الشعور السائد فى القاهرة هذه الأيام أن قطع المعونة هو الدليل الأقوى حتى الآن على أن واشنطن عدو للدولة المصرية».

أما صحيفة «فاينانشيال تايمز» البريطانية نشرت أيضا تقريرا عن تزايد شعبية وزير الدفاع الفريق عبد الفتاح السيسى، قالت فيه إنه يشبه فى مصر كـ«مخلص» تدخل لإنقاذ مصر من «براثن الإسلاميين الخونة»، على حد قولها.

وأضافت الصحيفة أنه جزئيا بسبب اشتياق كثير من المصريين إلى زعيم قوى يضع نهاية لعامين من الفوضى السياسية، على ما يبدو أن الهالة حول الفريق السيسى ستزداد وقد زادت بالفعل وبلغت ذروتها ولأول مرة فى التاريخ عندما استدعاه الشعب للرئاسة بالأمر المباشر.

من جانبها قالت صحيفة «وول ستريت جورنال» الأمريكية إنه بعد شهر من الصراع المميت بين قوات الأمن وأنصار مرسى تبددت احتمالات عودة الرئيس المعزول، مشيرة إلى أن مصر تشهد أسوأ أعمال عنف فى الذاكرة الحديثة، حيث يتحدى أنصار الإخوان قانون الطوارئ، ويواجهون قوات الأمن والمدنيين، ونقلت عن أحد قيادات الإخوان قوله: «إن القيادات المختبئة اجتمعت فى الخفاء، الجمعة، لمناقشة (البدائل والخطوات المقبلة)»، وأضاف أن أحد الاقتراحات فى الاجتماع هو توسيع الاحتجاجات من خلال الدعوة إلى العصيان المدنى على الصعيد الوطنى والإضراب العام، وأشارت الصحيفة إلى أن قيادات الجماعة ترى أن إنهاء الاحتجاجات يقوض زعمها بالشرعية، مضيفة أنه دون مخرج سياسى قابل للتطبيق، فإن مصر تجازف بلجوء عناصر الإخوان للانشقاق والتطرف.

وقالت الصحيفة إنه رغم زعم كبار مساعدى مرسى إن غالبية المتظاهرين من مؤيديه هم نشطاء «مؤيدون للديمقراطية»، فإنه من المستحيل السيطرة على الحشود، ونقلت عن أحد مؤيدى مرسى، يدعى وجدى حلمى، قوله: «نعم لدينا سلاح، وما الخطأ فى ذلك؟، فهو للدفاع عن النفس»، ونقلت عن أحمد على، المتحدث باسم وزارة الدفاع، قوله إنه «كان مطلوباً من الجيش إخماد الاحتجاجات العنيفة، وعند التعامل مع الإرهاب، فالنظر إلى

الحقــوق المدنية والإنســانية أمر غير قابل للتطبيق»، مضيفــا: «هناك تمرد بالفعل وهو فى زيادة، فهم يقتلون الناس فى الشوارع».

كمــا نقلت الصحيفة عن نزار غراب، أحد زعماء الجماعة الإســلامية، قوله إن «أفكار تنظيــم القاعدة والجهاد تم إحياؤها من جديــد، وتتم تغذيتها جراء أعمال العنف من قبل الحكومة»، مضيفا أن «محاولة الاستيلاء على الحقوق المدنية والسياسية للإسلاميين ستوفر الدعم لأفكار تنظيم القاعدة والفكر الجهادى».

وحذرت صحيفة «كريســتيان ســاينس مونيتور» الأمريكية من انــدلاع المزيد من أعمال العنف، خاصة بعدما أعلن الإخوان تنظيم المزيد من المظاهرات اليومية بما ينذر بالمزيد من الاضطرابات، خاصة أن بعض قيادات الجماعة أكدوا أنهم لا يســتطيعون منع أفرادها من التحول للعنف، نظرا لغضبهم من مقتل رفاقهم، أو أفراد عائلاتهم.

ونقلــت الصحيفــة عن محمد عقدة، المتحدث باســم التحالف الوطنى لدعم الشــرعية ومناهضــة الانقلاب، قوله: «لقد دعونا لســلمية المظاهــرات، ولكننى لن أندهش إذا اتجه البعض للعنف، حيث إن الناس غاضبون والشــباب خارجون على السيطرة، فهم غاضبون للغاية، ويطالبون بالدم، ونحن لا نستطيع السيطرة عليهم»، محذرا من أن «الأمور ستصبح أكثر عنفا».

وهــو ما يؤكد ان جماعة الإخوان إرهابية بكل المقاييس.. وأن هدفها لم يكن الدعوة إلى الحكم بشرع الله.. لكن الوصول إلى الحكم حتى تحقق هذا بالتحالف مع الشيطان الأمريكى فالغاية تبرر الوسيلة.

جاء رد السيسى سريعا وانتهز فرصة اللقاء بأول صحفية أمريكية بعد عزل مرسى وشن هجوما حادا على موقف أمريكا ودعمها للإخوان وعدم احترامها للإرادة الشعبية..

قال السيســى فى مقابلة مع صحيفة واشــنطن بوست، نشرتها على موقعها الإلكترونى مساء السبت، موجها حديثه لحكومة الولايات المتحدة: "لقد تخليتم عن الشعب المصرى وأدارتم ظهوركم له، لذا فإنه لن ينسى ذلك".

وتقول الصحيفة إن السيســى، الذى تحدث بســخط عــن الإدارة الأمريكية، يعد على نطاقا واســعا أنه الرجل الأقوى فى مصر حاليا، كما أنه المتحكم أكثر من أى شــخص آخر فــى اتجــاه البلاد بعد عامــين ونصف صاخبين نحى فيهم الجيش اثنين من الرؤســاء فى

أعقاب انتفاضات شعبية.. وخلال لقائه مع الصحيفة الذى استمر على مدى ساعتين داخل غرفة الاستقبال فى وزارة الدفاع، أعرب السيسى عن خيبة أمل عميقة حيال موقف الولايات المتحدة.

وقال فى رده على سؤال، هل سيرشح نفسه لمنصب الرئيس "أنه لا يطمح إلى السلطة"، موضحًا "أنت لا تصدق أن بعض الناس لا يطمحون إلى السلطة"، وسُئل "هل أنت منهم؟" فرد بقوله "نعم."

وتضيف الصحيفة، إنه قدم شرحا أكثر تفصيلا بشأن أسباب عزل مرسى. وتقول إن تعليقات السيسى تقدم مقياسا دقيقا لكيفية تسبب الإدارة الأمريكية فى نفور المصريين منها.

وفيما قامت واشنطن بتأجيل بيع أربع مقاتلات "إف ١٦" لمصر، فى تحرك رمزى يشير إلى استعداد واشنطن لمعاقبة الجيش المصرى، فإن السيسى انتقد التحرك متحدثا بقوة قائلا: "هذه ليست الطريقة التى يتم التعامل بها مع الجيش الوطنى لمصر".

وتقول واشنطن بوست، إنه مثل كثير من المصريين المؤيدين للجيش، فإن السيسى بدا غاضبا من الموقف الأمريكى الذى لم يؤيد بشكل كامل ما وصفه بـ "إرادة شعب حر ثار ضد حكم سياسى جائر"، وفق تعبير الصحيفة.

وقال قائد الجيش المصرى ووزير الدفاع، إن نظيره الأمريكى تشاك هاجل يتحدث إليه بشكل شبه يومى، بينما لم يتلق أى اتصال من الرئيس أوباما منذ عزل مرسى.

واقترح السيسى أنه إذا كانت الولايات المتحدة ترغب فى تجنب المزيد من إراقة الدماء فى مصر، فعليها أن تقنع الإخوان المسلمين لفض اعتصاماتهم. وأوضح: "إن الإدارة الأمريكية لديها الكثير من النفوذ والتأثير على الإخوان المسلمين، وأود حقا منها استخدام هذا النفوذ لحل الصراع".

وأشار السيسى أنه واجه مشكلات مع مرسى منذ يوم تنصيبه رئيسا فى ٢٠١٢م. ويقول: "لم يكن مرسى رئيسا لكل المصريين، لكن رئيس يمثل أتباعه ومؤيديه".

وتقول الصحيفة الأمريكية أنه خلال اللقاء بدا الجنرال الذى لا يتجاوز الـ٥٨ من عمره، قاسيا فى نقده لجماعة الإخوان المسلمين، قائلا إن أعضاء الجماعة لديهم ولاء لمعتقداتهم أكثر من ولائهم لمصر. وأوضح: "الفكرة التى تجمعهم معا ليست القومية، وليست الوطنية، وليست الشعور بمصر".

وأكد السيسى على أنه فعل كل ما بوسعه خلال عام كامل من حكم مرسى لمساعدته على النجاح. قائلا إن مرسى فشل مرارا وتكرارا للالتفات إلى نصيحة الجيش.

وأمام ملايين المصريين الذين خرجوا إلى الشوارع فى ٣٠ يونيو مطالبين برحيل مرسى، قال وزير الدفاع، إنه لم يكن أمامه خيار آخر. مضيفا: "لو لم نتدخل، لتحول المشهد إلى حرب أهلية". وشدد على أن جنرالات الجيش ليس لديهم أى نية للاستمرار فى الحكم.

وخلصت الصحيفة بقول الفريق عبد الفتاح السيسى: "إن أهم إنجاز فى حياتى هو التغلب على هذه الظروف التى تمر بها البلاد، لضمان أن نعيش فى سلام، لنذهب معا إلى خارطة الطريق ونكون قادرين على إجراء انتخابات دون إراقة قطرة دم مصرية واحدة". وختم: "عندما يحبك الناس، فإنه الشىء الأكثر أهمية لى".

وهنا يقطع الحفيد جده متسائلا: ان المشير السيسى وقتها كان ينفى نفيا قاطعا أنه لا يفكر فى الترشح للرئاسة فلماذا غير رأيه؟.

❑❑❑

obeikandl.com